Mahrajan Arabi
Proceeding International Conference
in Arabic Festival (INCAFA) 2025

الرحلة الرمزية في أدب الأطفال

قراءة تحليلية شعر " "قطاري"" و"رسالة من عصافير قطر النّدى" لسليمان العيسى

نور أنيسة رضوان

كلية الآداب, جامعة مالانج الحكومية

طريق سيمارانج رقم ٥, مالانج ٦٥١٤٥ هاتف/ فاكس :٥٥١٣١٢, ٠٣٤١-٥٦٧٤٧٥

صفحة الطائرة ٢٣٥: www.um.ac.id

nur.anisah.fs@um.ac.id, nuranisahridwan@gmail.com

ABSTRACT

This study aims to describe the symbolic journey and its educational, cultural, and national dimensions as conveyed through the texts. The paper takes a descriptive-analytical approach, which utilizes a structural-semantic framework for text analysis, with reference to the theory of symbolic travel literature within the context of children's literature. The findings reveal that Al-Essa portrays the journey as an educational and creative tool that fosters children's awareness and national identity through simple poetic language and rich imaginative imagery. These literary journeys contribute to reinforcing values, enhancing social responsibility, and affirming the role of literature in shaping future generations.

Keyword: journey, children's literature, sulaiman el-Isa

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى وصف الرحلة الرمزية وأبعاده التربوية والثقافية والوطنية التي تحملها النصوص. المنهج المعتمد هو المنهج الوصفي التحليلي، باستخدام مقاربة بنيوية دلالية في تحليل النصوص، مع الاستفادة من نظرية أدب الرحلة الرمزية في سياق أدب الأطفال. أظهرت النتائج أن العيسى صوّر الرحلة كأداة تعليمية وإبداعية تنمّي وعي الأطفال وهويتهم الوطنية بلغة شعرية بسيطة وصور خيالية غنية. تسهم هذه الرحلات الأدبية في ترسيخ القيم وتعزيز المسؤولية الاجتماعية، وتؤكد دور الأدب في بناء الأجيال.

كلمات أساسية: الرحلة، أدب الأطفال، سليمان العيسى

الرحلة في اللغة، كما ورد في "لسان العرب" لابن منظور (2016)، تعني الترحيل والارتحال، أي الانتقال من مكان إلى آخر .يُقال: "رحل الرجل إذا سار"، والرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض .وقد جاء في المعجم: "الترحل والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال. أما في الاصطلاح، فقد عرّف مجدي وهبة وكامل المهندس في "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" (1984) أدب الرحلات بأنه: "مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة .

وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد. "وبناءً على ذلك، يمكننا القول إن أدب الرحلة هو نوعٌ من الكتابة الأدبية يُدوِّن فيه الكاتب تجاربه وانطباعاته أثناء تنقله من مكان إلى آخر، مستخدمًا لغةً جميلةً وأسلوبًا فنيًّا راقيًا .لا يقتصر هذا النوع من الأدب على وصف الأماكن والمناظر الطبيعية فحسب، بل يتعداه إلى نقل الخبرات الثقافية والإنسانية.

في مجال الدراسات الأدبية، من المهم التمييز بين مصطلحين متقاربين شكلاً لكن مختلفين دلاليًا: "الرحلة في الأدب" و"أدب الرحلة ."فالرحلة في الأدب تشير إلى تناول موضوع الرحلة كعنصر من عناصر النص الأدبي، سواء في القصة أو الشعر أو المسرح أو الرواية .تُستخدم الرحلة هنا كرمز أو كوسيلة لنقل فكرة، أو لبناء تطور الشخصية، أو لإظهار تحوّل نفسي أو اجتماعي أو وطني .على سبيل المثال، في قصائد الأطفال التي تتحدث عن السفر بين البلاد لتكريس الانتماء أو الاستكشاف، كما في شعر سليمان العيسى، أو في روايات يظهر فيها البطل في رحلة من أجل البحث عن الذات.

أمّا أدب الرحلة هو نوع أدبي مستقل يسجل الرحلة الواقعية بأسلوب أدبي. يكتب فيه المؤلف عن رحلاته، موثقًا ما رآه من عادات وثقافات وأماكن، بأسلوب يجمع بين الوصف والتأمل (أحمد بت،2016). ومن وظيفته توثيق، تثقيف، ونقل المعرفة، وفي كثير من الأحيان يحمل أبعادًا ثقافية أو سياسية مثل تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة، أو "الاعتبار" لأسامة بن منقذ. فيمكن القول إن أدب الرحلة هو الأصل التاريخي والواقعي، بينما الرحلة في الأدب هي الامتداد الفني والرمزي له. فالأول يوثق، والثاني يبدع، لكن الرحلة بينهما جسر مشترك من المعنى والتأمل. رِّحلة في الأدب تُشير إلى ذلك النوع الأدبي الذي يصوّر تجربة الإنسان في التنقّل من مكان إلى آخر، سواء أكان ذلك التنقّل حقيقيًّا أو خياليًّا، ويُعرض بأسلوبٍ لغويٍّ جميل يجمع بين الوصف، والتأمّل، والتعبير عن المشاعر والمواقف. إنّها ليست مجرّد سرد للوقائع، بل نافذة ثقافية وفكرية وأدبية تعبّر عن نظرة الكاتب إلى العالم وموقفه من الحياة.

وبناءً عليه، يمكن القول إنّ أدب الرحلة هو توثيق لتجربة السفر أو الانتقال بلغة أدبية تُضفي على الحدث بعدًا جماليًّا وفكريًّا. ومن هذا المنطلق، تُعتبر الرحلة وسيلة أدبية لإيصال رسائل تربوية وثقافية ووطنية، كما نجد في شعر الأطفال عند سليمان العيسى، حيث تتحوّل الرحلة إلى رمز للمعرفة، والحرية، والانتماء، والتضامن. رغم وجود بعض الاختلافات بين النظريتين السابقتين، بين الرحلة في الأدب وأدب الرحلة علاقة وثيقة. يمكن توضيح هذه العلاقة أو هذا الارتباط من عدة زوايا منها: الرابط الموضوعي (المحتوى)، الرابط الجمالي والأسلوبي، والرابط الوظيفي. ومن الناحية النظرية بعض النقاد يرون أن الرحلة كموضوع أدبي تطورت أصلاً من أدب الرحلة التقليدي، ثم انفصلت عنه لتأخذ طابعًا رمزيًا أو تخييليًا (غنيمي، 2005). فلذلك أنه يمكن توظيفهما معًا عند تحليل العمل الأدبي، وذلك من أجل توضيح المعنى الكامل فيه وتيسير فهمه للقارئ بشكل أدق وأسهل.

أدب الأطفال

الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية، وهو فرع من أفرع المعرفة الإنسانية العامة، ويعنى بالتعبير والتصوير فنّيا ووجدانيا عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرها من عناصر الثقافة. يشمل هذا المفهوم الأدب عموما، بما في ذلك أدب الأطفال. ولكن أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعته حاجات الطفل وقدراته وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم (الهيتى، 1988).

الأطفال هم الثروة البشرية الباقية، وهم شباب الغد ورجال المستقبل، جيلا بعد الجيل.هم مرآة المجتمع ففيهم يستطيع المجتمع أن يرى كبف يمكن أن تكون عليه صورته مستقبلا. فتعد مرحلة الطفولة أهم مرحلة في بناء الإنسان لأن كل خبرة في الحياة تتصل بها اتصالا وثيقا، ولها بهم علاقة متينة (القاضي، 2008). من ثم، ينبغي أن يُزوَّد الأطفالُ بمختلف الخبرات الإيجابية والممتعة، التي تُسهم في بناء شخصياتهم، وتُعزز فيهم القيم النبيلة، وتُعدّهم ليكونوا جيلاً قويًا ومتميزًا. وهنا تبرز أهمية الأدب الموجَّه للأطفال، بوصفه وسيلة تربوية وثقافية فعّالة، يُمكن من خلالها غرس القيم، وتشكيل الوعي، وتوسيع الخيال، وتنمية الحسّ الجمالي. فالأدب ليس مجرّد وسيلة للتسلية، بل هو أداة تعليمية وتربوية تسهم في تكوين شخصية الطفل منذ سنواته الأولى.

إن الأعمال الأدبية تتفاوت من حيث مستوياتها الفكرية والفنية ويتوقف التذوق لهذه الأعمال على استعدادات حاصة لدى المتذوقين، وترجع هذه استعدادات للخلفيات الثقافة والخبرات الحياتية التي يتحلون بها. ولما كان الأطفال أقل كفاءة في مستوى قدرة الذهنية على التذوق وكذلك في مستوى الخبرات والتجارب فيجب على الكتاب أن يأخذوا بعين الاعتبار هذا مستوى من قدرات والخبرات فهم يوجهون كتاباتهم للأطفال. وهذا يكون قد نشأ نوع من الأدب راعي قدرات المتذقين. وهو ما نطلق عليه اصتلاحا أدب الأطفال (القديري، 1999). فأدب الأطفال على ذلك هو العمل الفني الإبداعي المكتوب أصلا للأطفال حسب سنهم وخبراتهم، وكونه موجهة للأطفال لا ينبغي أن يحول دون تمتع النص بكفاءة فنية متمثلة في جمال الأسلوب وسمو الفكرة، فثمة أعمال أدبية أنشئت في الأصل للصغار وأقبل على تذوقها الكبار بمزيد من الدهشة والانبهار.

للأدب الأطفال عدة تعريفات منها ما قدمه الهيتى (1988) أنه مجموعة الإنتاجات الأدبية المقدمة للأطفال، التى تراعى خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم، أى أنه في معناه العام يشمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجسد المعانى والأفكار والمشاعر. فلذلك لابد لأدب الأطفال من أن يوافق مع قدرات الأطفال ومراخل نموهم العقلي والنفس ي والاجتماعي .

وزاد الحديدي (1989) أن الأدب الأطفال هو خبرة لغوية في شكل فني يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشر أو أكثر قليلا، يعيشون ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية يدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوفه ويقوي تقديرهم للخير ومحبة ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية ويبني فيهم الإنسان. ويعرف محمد محمود رضوان أدب الأطفال بأنه الكلام الجيد الذى يحدث فى نفوس الأطفال متعة فنية، سواء أكان هذا الكلام شعرًا أم نثرًا، وسواء أكان التعبير به شفويًا أم كتابيًا، ويدخل فى هذا المفهوم قصص الأطفال، ومسرحياتهم.

علاقة على ذلك قدم زلط (2000) أن الأدب الأطفال شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغتها وتوافقها مع قاموس الطفل في الحصيلة الأسلوبية للسنّ التى يؤلّف لها، أو ما يتصل بمضمونه ومناسبته لكل مراحل الأطفال أو ما يتصل بقضايا الذوق. فإن الأدب الذي يكتب للأطفال ويوجهه إلى عالم الأطفال ينبغي أن يصدر عن مبدع لصيق الصلة بالأطفال وبعالمهم. يكتب وكأنه واحد منهم يعيش معهم في واقعهم وخيالهم وفي بيوتهم وساحاتهم ومدارسهم ومنزّهاتهم ومرابع لعبهم ورحلاتهم.

من الآراء المختلفة لخبراء الأدب، يمكن أن نستنتج أن أدب الأطفال هو تشكيل لغوى فنى ينتمى لنوع من أنواع الآداب سواء أكان قصة أم شعرًا أم مسرحًا، يقدمه الكاتب تقديمًا جيدًا، فى إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالاً وثيقًا، ويتفق مع عالم الطفولة اتفاقًا عميقًا يمكن أن يقرأه الأطفال أو يقرأ لهم من خلال الانتباه إلى وجهة نظرهم كأطفال. وينبغي في أدب الأطفال مراعاة ثلاثة أبعاد أساسية تؤثر بشكل كبير في تشكيل شخصية الطفل، وهي (1) البُعد التربوي، و(2)البُعد الثقافي، و(3) البُعد الوطني. وفيما يلي بيانه.

البُعد التربوي

يُعتبر الأدب وسيلة فعّالة لغرس القيم الأخلاقية والتربوية في نفوس النشء .من خلال القصص والحكايات، يتعلم الأطفال مفاهيم مثل الصدق، الأمانة، التعاون، واحترام الآخرين .كما يُسهم الأدب في تنمية التفكير النقدي والقدرة على التحليل والاستنتاج، مما يُعزز من قدرات الأطفال العقلية والمعرفية .

البُعد الثقافي

يلعب الأدب دورًا محوريًا في نقل الثقافة والمعرفة بين الأجيال .من خلاله، يتعرف الأطفال على تراثهم الثقافي، العادات والتقاليد، واللغة العربية بجمالياتها وثرائها .كما يُسهم الأدب في تعزيز الهوية الثقافية والانتماء للمجتمع، ويُشجع على التفاعل مع الثقافات الأخرى بفهم واحترام

البُعد الوطني

يُعزز الأدب الشعور بالانتماء الوطني والاعتزاز بالوطن .من خلال تسليط الضوء على تاريخ الوطن، رموزه، وأبطاله، يُسهم الأدب في بناء وعي وطني لدى الأطفال .كما يُشجع على المشاركة الفعّالة في المجتمع والعمل من أجل تقدمه وازدهاره .

سليمان العيسى

سليمان العيسى شاعر عربى كبير ناضل من أجل التغيير ليس فى وطنه سوريا فقط بل فى الوطن العربى، فهو بحق شاعر القومية العربية التى آمن بها ودافع عنها، وخرجت منها إبداعاته وأفراحه ومآسيه وهمومه، فهو لا يريد هذا العالم بدون حب، بدون شعر، بدون أطفال.كما قال في مقدمة ديوانه للأطفال (1999) أن ألأطفال فرح الحياة ومجدها الحقيقي.أنهم مستقبل، أنهم الشاب الذي سيملأ الساحة غدا أو بعد غد . أنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض. أنهم نبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتعود إليها دورتها الدموية التي تعطلت ألف عام وعروقها جفت ألف عام. يتجلى من هذا التصريح يظهر مدى عظمة الأمل المقعود كأجيال المستقبل للوطن (العيسى، 1999).

وُلِدَ سليمان العيسى سنة 1921 في سوريا. وتحت رعاية والده، تعلّم القراءة والكتابة، ومنذ سنٍّ مبكرة اعتاد على قراءة المجلات والصحف مثل مجلة "الهلال" المصرية و"العرفان" اللبنانية. لقد نمت مشاعر القلق والتعاطف مع قضايا وطنه في نفسه منذ الطفولة. وفي سن التاسعة، كتب العيسى قصيدةً عن معاناة الفلاحين ويأسهم في قريته النعيرية الواقعة على بُعد حوالي 20 كم إلى الغرب من مدينة أنطاكية. وعلى غير ما توقّع الطفل العيسى، أصبحت تلك القصيدة بذرةً لانطلاق ثورة الفلاحين سنة 1930 التي تمردت ضد الاستعمار للمطالبة بالتحرر من البؤس والفقر (البقاعي، 1994). ويُعد العيسى من كبار شعراء العرب، ومناضلاً من أجل التغيير، ذاع صيته ليس فقط في وطنه سوريا، بل في مختلف أرجاء الوطن العربي. لقد كان بحق شاعرًا قوميًا عربيًا مخلصًا في الدفاع عن وطنه.

اشتهر العيسى بدايةً كشاعر قومي ومقاوم، كتب للثورة والحرية، وظل مرتبطاً عاطفياً وأيديولوجياً بالقضية العربية والهوية الثقافية، وكتب آلاف الأبيات التي تلهب مشاعر الجماهير، خاصة في سوريا وفلسطين والعراق. رغم أن بداياته الشعرية كانت مع الكبار، فإن سليمان العيسى اتجه لاحقاً إلى الكتابة للأطفال، مؤمناً بأن بناء الأمة يبدأ من بناء طفلٍ واعٍ، مُحبٍّ لوطنه وثقافته.

فكتب شعراً بسيطاً من حيث اللغة، لكنه غني بالرموز والمعاني العميقة، حاملاً الرسالة القومية نفسها التي لطالما آمن بها، ولكن بصيغة تربوية مرحة ومناسبة لعقول الصغار.هو لم يرَ في أدب الأطفال مجرد تسلية، بل وسيلة لبناء الوعي والهوية والانتماء.

انطلاقًا من هذا العرض، يهدف الباحثة إلى إعداد هذه الورقة العلمية لبيان الرحلة الرمزية وأبعاده التربوية والثقافية والوطنية لقصيدتي "قطاري" و"رسالة من عصافير قطر الندى"، باعتبارهما نموذجين بارزين لتجليات موضوع الرحلة الرمزية في أدب الأطفال العربي. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن البعد التربوي الذي يسهم في تشكيل شخصية الطفل، والبعد الثقافي الذي يعزز انتماءه الحضاري، والبعد الوطني الذي يُنمّي حسّه بالهوية والانتماء القومي العربي، وكلّ ذلك من خلال لغة شعرية مبسّطة وصور خيالية جذابة تُناسب عالم الطفولة.

منهج البحث

تعتمد الباحثة هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، باستخدام مقاربة بنيوية دلالية في تحليل النصوص، مع الاستفادة من نظرية أدب الرحلة الرمزية في سياق أدب الأطفال. اخترت هذه المنهجية لأنها تمكّن الباحثة من فهم أعمق لدور الشعر في مخاطبة الطفل وتوصيل القيم الكبرى بأسلوب رمزي وبلاغة مبسطة قريبة من إدراكه.

فأما خطوات التحليل المعتمدة فهي:

- القراءة المكثفة للنصوص:

تمثل الخطوة الأولى قراءة متأنية لكل بيت شعري من القصيدتين لفهم البنية السطحية والدلالات العميقة.

- تحليل البنية الشعرية:

يتضمن تحليل العناصر الفنية مثل الموضوع، الصور الشعرية، اللغة، الرمز، والإيقاع، مع التركيز على كيفية ارتباطها بعالم الطفل وخياله.

- التحليل الرمزي والدلالي:

يُعنى بكشف الرموز مثل "القطار"، "العصافير"، "الرايات"، "الطبيعة" وغيرها، وتفسير المعاني الرمزية التي تنقل رسائل تربوية وثقافية ووطنية موجهة للأطفال.

- الإسقاط على الأبعاد التربوية والثقافية والوطنية:

يتم تحليل كيف تساهم هذه الرحلة الشعرية الرمزية في ترسيخ الهوية الوطنية وتعزيز الوعي الاجتماعي لدى الطفل العربي، انطلاقاً من الوظيفة التربوية للأدب.

نتائج البحث

الرحلة في شعر الأطفال عند سليمان العيسى تمثل **فضاءً رمزيًا** يوظف لزرع القيم الوطنية، وتعميق الانتماء، وتوسيع أفق الطفل العربي، مما يؤكد الدور المحوري للأدب في بناء الوعي الثقافي والوطني للناشئة.

1. **تجسيد الرحلة كوسيلة تربوية وتثقيفية:**

عبّر سليمان العيسى عن مفهوم الرحلة بوصفها رحلة رمزية تحمل أبعادًا تعليمية، حيث تمثل وسيلةً للطفل لاكتشاف الوطن العربي، والتعرف على وحدته الجغرافية والتاريخية.

2. **تعزيز الهوية الوطنية والعربية:**

يربط الشاعر الطفل بوطنه العربي من المحيط إلى الخليج، من خلال صور شعرية تمثل وحدة الأرض واللغة والقيم، مما يُسهم في تشكيل وعيه الوطني في سن مبكرة.

3. **استخدام الرموز القريبة من عالم الطفل:**

مثل القطار والعصافير والرايات والسماء والمطر... وهذه الرموز تُحاكي خيال الطفل وتُحمّل بدلالات وطنية وأخلاقية، دون إخلال بجماليات النص الشعري.

4. **البعد الثقافي والحضاري:**

الرحلة ليست فقط تنقلًا جغرافيًا، بل أيضًا انتقال في القيم والمعاني الثقافية، حيث تتضمن القصائد إشارات إلى تاريخ الأمة وقيمها المشتركة.

5. **أسلوب شعري مناسب للطفل:**

استخدم الشاعر لغة بسيطة وصورًا حسية تخاطب وجدان الطفل، مما يجعل الرسالة الشعرية سهلة الوصول وذات أثر عاطفي وتربوي عميق.

المناقشة

الرحلة الرمزية وأبعاد التربوية والثقافية والوطنية في شعر " "قطاري"

"قطاري"

داري داري أرْضُ العَـرَب

زارَ "قطاري" وطَنَ العَرَبِ

مِنْ تَطـــوانَ إلى بَغْدادْ

ســـارَ "قطاري" يا أوْلادْ

يَحْمِلُ أطْفـــالاً وبَشـائِرْ

فـي أرْجاءِ الْوطَنِ الســاحِرْ

بَيْنَ الغَـرْبِ وبينَ الشـرْقِ

رَفَّ "قطاري" مِثْلَ البَـرْقِ

مِثل أراجــيحِ الأحــلامْ

مَرَّ عَلــى بَردى والــشَّامْ

هيّا نَرْكَبْ يا أطْفـــالْ

نَحْمِلْ رايــاتِ الأبْطــالْ

داري داري أرضُ العَرَبِ

بَيْتُ ''قطاري'' وَطَني العَرَبي

أرْجاءِ الْوطَنِ الســاحِرْ

تُظهر هذه القصيدة فرحةَ الأطفال أثناء قيامهم برحلةٍ سياحيةٍ عبر أرجاء الوطن العربي بواسطة القطار، وفخرهم بامتلاكهم لهذا الوطن. وقد استُهِلَّت القصيدة بتعبيرٍ عن الانتماء إلى الوطن العربي كله في السطر الأول (داري داري أرْضُ العَـرَب)، ثم أُعيد هذا التعبير في السطر الثالث عشر. أما الإعجاب بجمال الطبيعة العربية وعظمتها فقد تجلّى في السطرين السادس والسابع (فـي بَيْنَ الغَـرْبِ وبينَ الشـرْقِ). وقد أكّد الشاعر حبّه وفخره بالوطن العربي مجددًا في المقطع الأخير (أرْجاءِ الْوطَنِ الســاحِرْ)، الذي يُعَدّ خلاصةً للسطرَين والسياقَين السابقين.

يمثل موضوع الرحلة في أدب الأطفال العربي بوابة واسعة لاكتشاف العالم وبناء الهوية. وتُعد القصائد الشعرية التي كتبها سليمان العيسى نموذجًا غنيًا لاستخدام الرحلة كرمز تربوي وثقافي ووطني. النظرة العامة لشعرِ ''قطاري'' إطار الزمني والمكاني. يمثل القطار رمزًا للوحدة العربية والرحلة الجغرافية عبر الدول العربية. واستخدام الرمزية القطار كوسيلة نقل، يعمل كرمز للانتقال من حالة إلى أخرى، من الحلم إلى الواقع.

القطار في هذا الشعر يرمز إلى وحدة الوطن العربي: "من تطوان إلى بغداد"، وهي صورة توحي بالوطن الكبير الموحد. يمثل أيضًا وسيلة تربوية للربط بين الأوطان والشعوب وغرس الانتماء العربي لدى الطفل. و دور الأطفال في الشعر كحاملين للآمال والتغيير. أما العالم العربي تمثيل المناطق العربية المختلفة في الشعر، من تطوان إلى بغداد.

كما تتجلّى في هذه القصيدة فكرة الوحدة العربية، حيثُ يدعو الشاعرُ الجيلَ العربيَّ الصاعد إلى المشاركة في قاطرة النضال من أجل وحدة الأمة. تبدأ رحلة القطار من مدينة تطوان، وهي مدينة ساحلية تقع في شمال المغرب، وتمرّ بمدينة بردى في إقليم أذربيجان، ثم تتّجه إلى بلاد الشام، وتختتم مسيرتها في بغداد شرقًا. تعكس هذه الأبيات رؤية الشاعر تجاه وحدة الوطن العربي، إذ يسعى من خلالها إلى التأكيد على أنّ جميع الأقطار العربية تُشكّل وطنًا واحدًا لأبناء الأمة، وكأنّها بيتٌ واحد يضمّ كلّ أطفال العرب.

تمثّل قصيدة "قطاري" لسليمان العيسى نموذجًا شعريًا فريدًا يجمع بين البعد الرمزي والرسالة التربوية والوطنية الموجهة للأطفال. فالقطار في هذه القصيدة ليس مجرد وسيلة نقل، بل رمزٌ لوحدة الأمة العربية، وحلم الطفولة الذي يجوب الوطن الكبير من

غربه إلى شرقه. من خلال الصور الشعرية المفعمة بالخيال، يعزّز الشاعر في نفوس الأطفال مشاعر الانتماء، والفخر بالهوية العربية، وحب الأرض من المحيط إلى الخليج.

كما يُقدّم النموذج التربوي الذي يدعو الأطفال إلى التعلّم من خلال الاكتشاف والسفر الذهني، ما يسهم في بناء وعيهم الثقافي والاجتماعي. ومن خلال تكرار عبارة "داري داري أرض العرب" يُكرّس الشاعر مفهوم الوطن الواحد، ويغرس قيم الوحدة والتضامن في الجيل الناشئ. إن هذه الرحلة الرمزية عبر القطار تمثّل وسيلة أدبية لتشكيل وعي الطفل العربي بقضاياه، وتمنحه أفقًا واسعًا للحلم والمشاركة الفاعلة في مستقبل أمته.

أ. البُعد التربوي

يرتبط الأدب التربوي بدوره في تعليم الأطفال المبادئ والقيم الأساسية التي تساهم في تكوين شخصيتهم. في حالة قصائد سليمان العيسى، نرى كيف أن الرحلة تصبح وسيلة لتعليم الأطفال عن أهمية استكشاف العالم من حولهم، وكيفية فهم قيم التعاون، والمشاركة، والانتماء للوطن. باستخدام صور شعرية وخيالية، يتمكن العيسى من تحفيز خيال الأطفال وتنمية مهاراتهم في التفكير النقدي والمستقل. الطفل مشارك في الرحلة، لا مجرد مشاهد، بل حامل "رايات الأبطال" . فالرحلة أداة تعليمية لتعريف الطفل بالمدن العربية وبالقيم الجماعية.

ب. البُعد الثقافي

يعكس الأدب العربي، خصوصًا شعر الأطفال، الثقافة العربية من خلال تقديم التراث والموروث الثقافي للأجيال الجديدة. في قصائد العيسى، يُبرز مفاهيم الثقافة العربية الأصيلة من خلال تسليط الضوء على تاريخ الأمة ومواقعها المميزة مثل بغداد ودمشق. كما أن استخدامه للغة الشعرية البسيطة يسهم في جعل الأطفال يتعرفون على تاريخهم الثقافي ويشعرون بالاعتزاز به.

ج. البُعد الوطني

يمكن اعتبار البُعد الوطني في أدب الأطفال، وخاصة في قصائد سليمان العيسى، من الأبعاد الأكثر وضوحًا، حيث يتم تسليط الضوء على أهمية الهوية الوطنية والولاء للوطن. في قصيدته "‘‘قطاري’’" مثلاً، يتجسد في الصورة الشعرية التي تربط بين السفر والترحال وبين الوطن. كما أن العيسى يُظهر كيف أن كل طفل يجب أن يشعر بالمسؤولية تجاه وطنه، وكيف يمكن للأدب أن يكون أداة قوية في تعزيز المشاعر الوطنية لدى الأطفال. وتوظيف القطار لتوحيد الجغرافيا العربية وتعزيز هوية عربية واحدة. و"وطني العربي" بيت للقطار، رمز لانتماء شامل.

الرحلة الرمزية وأبعاد التربوية والثقافية والوطنية في شعر "رسالةٌ من عصَافير قَطْر النَّدى"

أعزاءي الصّغار :

هل تَذكرُون قطارَكُم الأخضر الّذي حملَ رفاقَكُم الأطفال، وطافَ الأقطارَ العربيّة كُلَّها؟ أقولُ : بعد أن كتبتُ لكم تلكَ الأناشيدَ ... تَلَقَّيْتُ مئات الرسائل الحُلوة من أطفال العرب. وكانت منْ بينها هذه الرسالةُ الجميلةُ المؤَثِّرة التي جاءَتْني من تلميذات مدرسة ابتدائية في دمشق. اسمُها : قَطْر النـدى. وقد حَوَّلتْ كَلمتها إلى أنشودة لأضَعها بين أيْـدي بَراعمنا الصغيرة في كل مكان. تقول الرسالة :

يا شاعرِي ... يا شاعرَ الصِّغارْ

يا حاملَ الأطفالِ والنَّـــهارْ

في العَرَباتِ الخُضْرِ، في القِطارْ

تَحيَّةَ خَضراءْ

يَحْمِلُها الغِناءْ

مِنْ سَوْسَـنٍ وفاطِمَـــةْ

من الحُــقولِ القادِمـَةْ

بالـوَرْدِ والرَّبيـــــعْ

بالنـــورِ للجميــعْ

* *

نَحْـــنُ مَــعَ القِطـارْ

أنْشُـــودَةُ الأحــرارْ

أنْشــودَةُ العُــرُوبَـةْ

والتربـــةِ السَّليــبَةْ

* *

نحنُ الذيـــنَ نَصنَعُ الحيـاةْ

مــنْ دونِ أنْ تَدري بنــا الحيـاةْ

مــنْ حــارةٍ قديمةٍ مُكافِحَـةْ

يَمُرُّ فيــها اليومُ مثلَ البارِحَـةْ

جــيرانُنا مَطارِقُ النُحَـــاسْ

والنَّـــاسُ عِندَ الجِدِّ نحــنُ الناسْ

وأهلُنا صميــمُ هــذا الشــعبْ

ونحنُ للتحـرير ... نحنُ الــدربْ

* *

مِنْ سَوْسَنٍ و فَاطِمَـةْ

منَ الأغاني القادِمَـةْ

بالحبِّ، والأزهـارِ، والأمَـلْ

بالجُهدِ و العَمـَلْ

بالوَطَنِ العظيـمْ

في قَلبـنا، في صَدرِنـا يُقيـمْ

* *

يا شاعري، يا شاعرَ الصِّغارْ

لو يَعْلَمُ الكبـارْ

مَدُّوا لنـا الدُّنيـا بلا حسـابْ

وفَتَحـوا أمَامنا الأبـوابْ

* *

خُذْنـا معَـكْ خُذنـا مَعَـكْ

فـي رحـلة القِـطَـارْ

فـي ثـورةِ الصِّغـارْ

الوَطَـنُ المنـاضِلُ العظيـمْ

فـي قلبِنا، فـي صدرنا، يُقيـمْ

الشعر "رسالة من عصافير قطر الندى" توظّف رمزية الطيور (العصافير) وسفرها أو رسالتها من قطر الندى (مكان رمزي ينبع منه النقاء والبراءة) إلى بلاد الشام وفلسطين، وتُبنى الشعر على خطاب عاطفي وإنساني يخاطب وجدان الطفل العربي بلغة ناعمة ومؤثرة. يُفتتح النص بنداء موجّه إلى الشاعر الذي يُصوَّر بوصفه قائدًا روحانيًّا للأطفال، وحاملًا لهم في القطار والعربات الخضراء .هذا التصوير يضفي على الشاعر صفة "المرشد" الذي يأخذ بيد الأطفال في رحلة معرفية وتحررية، لا مجرد رحلة خيالية. فالقطار ليس وسيلة نقل فحسب، بل هو رمز للتحوّل والتقدّم الجماعي.

"يا شاعري ... يا شاعرَ الصغارْ
يا حاملَ الأطفالِ والنهارْ
في العربات الخضر، في القطار"

ثانيًا: الرحلة كرمز للتحرير وبناء الهوية

يُستخدم القطار كرمز مركزي في النص ليعبّر عن رحلة نحو التحرير والانعتاق .الأطفال في هذه الرحلة ليسوا مجرد متلقين سلبيين، بل هم فاعلون ثوريون ومساهمون في صنع الحياة. تقول القصيدة:

"نحنُ مع القطار
أنشودةُ الأحرار
أنشودةُ العروبة
والتربة السليبة"

هذه الأبيات تُظهر الأطفال بوصفهم صوتًا جماعيًّا حرًّا، يحمل رسالة التحرر والانتماء العربي، ويؤسّس لهوية جماعية ترتبط بالأرض والتاريخ والنضال.

ثالثًا: البعد المكاني والاجتماعي للرحلة

تأخذنا القصيدة إلى أحياء فقيرة كادحة، حيث يصنع الناس حياتهم اليومية بالصبر والعمل. هذا البعد المكاني يُعمّق البعد الاجتماعي للرحلة، حيث لا يقتصر مفهوم الرحلة على الجغرافيا، بل يتّسع ليشمل التاريخ الشعبي ومعاناة الطبقات المهمشة.

"من حارةٍ قديمةٍ مكافحة
يمرّ فيها اليومُ مثلَ البارحة
جيرانُنا مطارق النحاس
والناسُ عند الجدّ نحنُ الناس"

رابعًا: الرمزية الطبيعية ودورها في تشكيل خطاب الرحلة

القصيدة مشبعة بصور الطبيعة: الزهور، الربيع، الضوء، فاطمة وسوسن... وكلها رموز إيجابية تُرافق الرحلة وتمنحها بُعدًا جماليا وتربويا . تُجسّد هذه الرموز الأمل في التغيير، وترتبط بفكرة الانبعاث من الظلام نحو النور، ومن الشتاء نحو الربيع، ومن الجمود نحو الحركة.

خامسًا: الطفولة كقوة فاعلة في الرحلة

من أبرز مظاهر التجديد في هذه القصيدة هو تمكين صوت الطفل، وجعله مركز الرحلة، لا هامشًا فيها. الأطفال هم الذين "يصنعون الحياة"، ويملكون الشجاعة والإرادة ليطالبوا الشاعر أن يأخذهم معه في هذه الرحلة الثورية:

"نحنُ الذين نصنع الحياة
من دون أن تدري بنا الحياة"

وفي نهاية النص:

"خذنا معك
في رحلة القطار
في ثورة الصغار"

أ.البعد التربوي

- العصافير تحمل رسالة من "قطر الندى"

تمثل العصافير رمزًا لعالم الطفولة البريء والنقي. فهي مخلوقات صغيرة وضعيفة في الظاهر، لكنها تحمل رسالة عظيمة مليئة بالأمل والحنان. يعلِّم هذا الرمز الطفل أن البراءة يمكن أن تكون مصدرًا للقوة، وأنه حتى المخلوقات الصغيرة تستطيع أن تؤثر في العالم.

- توجيه الرسالة إلى أطفال الشام وفلسطين

يتجلى هنا بُعد تربوي عميق، حيث يتعلَّم الطفل معنى التضامن الإنساني منذ الصغر. فالأطفال في "قطر الندى" يشعرون بمعاناة أقرانهم في الشام وفلسطين، ويرسلون إليهم رسالة مواساة، مما يغرس في نفوس الأطفال قيمة الإحساس بالآخرين والوقوف معهم في محنتهم.

- تعليم الطفل دوره الإيجابي في الحياة

تبرز القصيدة فكرة أن الطفل ليس كائنًا سلبيًّا أو معزولًا عن قضايا أمته، بل يمكنه أن يكون رسول خير وسلام. فالعصافير الصغيرة ترسل رسائلها عبر الأثير، ما يرمز إلى قوة الكلمة والمشاعر الصادقة، ويُعزز لدى الطفل الشعور بالفاعلية والانتماء.

نلاحظ أن الشاعر يُعلِّم الطفل أن القوة لا تكون دائمًا في السلاح، بل قد تكون في الكلمة الصادقة والموقف النبيل. فالكلمات الصادرة من القلوب الطاهرة يمكن أن تبني الجسور وتلهم الآخرين وتغيِّر الواقع.

ب. البعد الثقافي

- الرسالة تنطلق من "قطر الندى" إلى الشام وفلسطين

يُبرز الشاعر الرابط الثقافي بين أجزاء الوطن العربي، رغم المسافات الجغرافية. فهذا الربط يعزز في ذهن الطفل أن الثقافة العربية واحدة، وأنهم جميعًا ينتمون إلى إرث مشترك من اللغة، والتاريخ، والوجدان.

- القصيدة تتضمّن صورًا رمزية لطيفة وملونة

مثل العصافير، قطرات الندى، الطفولة، الرسائل، وكلّها رموز تنتمي إلى قاموس الطفل، ولكنها محمّلة بدلالات ثقافية عميقة. الطفل يتعلّم من خلالها أن الأدب وسيلة للحفاظ على هوية الأمة، وللتعبير عن الهموم المشتركة بلغةٍ قريبة إلى القلب.

- التعبير الفني عبر الشعر كوسيلة تربوية ثقافية

تُوظَّف الصور البلاغية بأسلوب بسيط وسلس، يُقرّب المعنى للطفل ويجذبه إلى عالم الشعر، ما يُساهم في تنمية الذوق الفني لديه، وتعويده على التعبير الرمزي.

ج. البعد الوطني

- الرسالة موجّهة لأطفال فلسطين والشام:

هذا التوجيه يُعلِّم الطفل معنى الانتماء للوطن العربي الكبير، ويُربّيه على حبّ فلسطين باعتبارها قضية الأمة. فحتى الأطفال

يشاركون في التعبير عن الألم والأمل الوطني. وتذكّر القصيدة الطفل العربي بأن هناك إخوة له يعانون في أماكن أخرى من الوطن العربي.

- تعزيز فكرة الوحدة العربية من خلال الرسالة المشتركة:

القصيدة تُجسّد وحدة الهمّ والمصير بين أطفال العرب، وتُظهر أن الوطن ليس فقط مكانًا، بل شعورًا بالارتباط والتضامن، وتُعلّم القصيدة الطفل أن يشعر بآلام الآخرين وكأنها آلامه، فتُربي فيه الحس الوطني والإنساني معًا.

- تشجيع الجيل الصغير على الإحساس بالمسؤولية الوطنية:

من خلال الرسالة الرمزية، يُعلِّم الشاعر الأطفال أنهم ليسوا بعيدين عن قضايا أوطانهم، بل يمكنهم التعبير عنها والمساهمة في بناء المستقبل بالأمل والوعي، وتُرسّخ مفهوم أن الوطن ليس فقط جغرافيا محلية، بل وحدة روحية وثقافية.

الإستنتاج

يتبيّن من خلال تحليل قصيدتي "قطاري" و "رسالة من عصافير قطر الندى "للشاعر العربي الكبير سليمان العيسى، أن مفهوم الرحلة الرمزية في أدب الأطفال ليس مجرد انتقال جغرافي أو تخيلي، بل هو وسيلة تربوية وثقافية ووطنية عميقة تهدف إلى بناء وعي الطفل العربي وتعزيز انتمائه لأمّته.

ففي قصيدة "قطاري"، نرى رحلة مبهجة تحمل الأطفال عبر أرجاء الوطن العربي، لتغرس فيهم مشاعر الفخر بالهوية والانتماء لوطنٍ واحد كبير. بينما تحمل "رسالة العصافير "رمزًا للطفولة البريئة التي تتجاوز الحدود، لتوصل مشاعر التضامن والأمل إلى أطفال الشام وفلسطين، وتجعل من الطفل كائنًا فاعلًا ومشاركًا في قضايا أمته.

تُبرِز القصيدتان كيف يمكن للأدب، وبخاصة الشعر، أن يتحوّل إلى وسيلة تربوية فعّالة، تُنمّي لدى الطفل الإحساس بالحرية، والكرامة، والوحدة، والتضامن، عبر رموز فنية قريبة إلى عالمه.

ختامًا، فإن سليمان العيسى لم يكن يكتب فقط للأطفال، بل كان يُربّي الأجيال عبر الشعر، ويُؤسّس لوعيٍ عربيٍّ جديد في عقولهم وقلوبهم. ومن هنا، تبرز أهمية تناول أدب الأطفال العربي بالدراسة والتحليل، لاكتشاف طاقاته التربوية والثقافية والوطنية الكاملة.

المراجع

ابن منظور. 2016. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

أحمد بت، فردوس. 2016. أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية. الكتاب الثاني – العدد الثاني. واسطة مجلة اللغة، ١ أبريل.

الحديدي، علي. 1989. في أدب الأطفال. القاهرة: مكتبة أنجلو.

العيسى، سليمان. 1999. ديوان الأطفال. دمشق: دار الفكر.

القديري، ممدوح. 1999. أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل. القاهرة: مركز الحضارة العربية.

القاضي، محمد. 2008. فن الكتابة للأطفال. القاهرة: دار الصورة.

الهيتي، هادي نعمان. 1988. ثقافة الأطفال. الكويت: الثقافة والفنون.

بقاعي، إيمان يوسف. 1994. سليمان العيسى منشد العروبة والأطفال. لبنان: دار الكتب.

زلط، أحمد أ. 2000. في أدب الطفل المعاصر: قضاياه واتجاهاته ونقده. القاهرة: هبة النيل العربية.

وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. 1984. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.